إنها لأمانة
فمن لها ؟

إعـداد

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم

ـ عفا الله عنه ـ

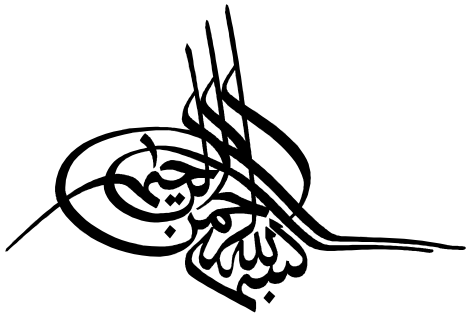

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع

٢٠١١/٢٢١٢٣

دار الأمل للنشر والتوزيع والترجمة

بجوار مسجد الإمام محمد بن عبد الوهاب - محطة ترام باكوس

الإسكندرية – مصر

daralamal@hotmail.com

٠١٠٠٠٢٨٢١٦٦ - ٠١١١١٨١٩٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عداون إلا علىٰ الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صلِّ ، وسلم ، وبارك عليه ، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

أما بعد :

فقد تعودنا ـ معشرَ المسلمين ـ أن نتداعىٰ للاهتمام بأمور المسلمين في أقطار الأرض ، باعتبارهم أمة محمد رسول الله ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ ، وقلَّ من يلفت النظر إلىٰ أن أمة محمد ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ لا يُعَبَّرُ بها فقط عن الذين استجابوا لله ، ورسوله ، وأسلموا دينهم لله ، الذين هم « أمة الإجابة » ،

ولكن أمة محمد ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ تشمل ـ أيضًا ـ : « أمة الدعوة » ، وهي تشمل : كل المخاطبين برسالة الإسلام ، ممن دَبَّ علىٰ ظهر هذه الأرض منذ بُعِثَ رسولُ الله ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ إلىٰ قيام الساعة مهما اختلفت أزمانهم وأماكنهم وأديانهم .

إن من الخصائص التي اختص الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ بها نبينا محمدًا ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ : أنه أرسله إلىٰ الناس كافة ، فقال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

فهذه الرسالة المحمدية تخاطب جميع الناس بلا تخصيص ، وهي موجهة إلىٰ كل من كان في عهده ـ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ ؛ وإلىٰ كل من سيأتي بعده إلىٰ يوم القيامة ؛ لأنها خاتمة الرسالات السماوية .

قال ـ عَزَّوَجَلَّ ـ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وبيَّن ـ جَلَّوَعَلَا ـ أنه أوحىٰ إلىٰ نبيه ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ هذا القرآن ؛ لينذر به قومه ، وينذرَ به كُلَّ من بلغه هذا القرآن من العرب والعجم [١] ، وغيرهم من الأمم سواء كان موجودًا في زمانه أم سيأتي بعده إلىٰ يوم القيامة ، فقال ـ عَزَّ مِن قائل ـ : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

وقال ـ جَلَّوَعَلَا ـ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وقال رسول الله ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ : « **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي** » ، فذكر منهن : « ... **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً** » [٢] .

(١) العُجْم والعَجَم ـ بالضم والتحريك ـ : خلاف العرب .

(٢) رواه البخاري ، وغيره .

وقال رسول الله ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ : « **أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعُجْمِ ، أَرَادَ اللهُ ـ عَزَّوَجَلَّ ـ بِهِمْ خَيْرًا ؛ أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ** » [١] .

وإذا كنا نعي ونتدبر جيدًا قول الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقوله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وإذا كنا نعتز بسنته ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ ، ونتخذ شعارًا لنا : قوله ـ بأبي هو وأمي ـ : « **خَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ** ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ » ، فكيف كان هديه ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ في دعوة الأمة التي بُعث إليها ، ونخص بالذكر هنا : « أمة الدعوة » ؟

لقد كان ـ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ـ حريصًا أشد الحرص علىٰ

(١) رواه الإمام أحمد ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

تبليغ الناس هذه الدعوة ، ومن مظاهر ذلك : أمره بالتبليغ عنه ما تيسر ـ ولو آية واحدة من القرآن ـ ، فقال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مخاطبًا المؤمنين به ـ : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** » (١) .

وكان يُرَغِّبُ أصحابه في الاجتهاد في الدعوة إلىٰ الله ، وينوع الخطاب في ذلك ، فهو ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ القائل : « **لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا ؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** » (٢) .

وهو ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ القائل : « **مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ ؛ كَانَ لَهُ مِن الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** » الحديث (٣) .

وكان يُسَرُّ جدًّا باستجابة المدعُوِّ إلىٰ التوحيد ، ومن ذلك : ما ثبت من أنه لما دعا يهوديًا فأسلم ؛ فرح ، واستبشر ،

(١) رواه البخاري ، و« **بَلِّغُوا** » تكليف، « **عَنِّي** » تشريف، « **وَلَوْ آيَةً** » تخفيف.

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم .

وقام ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وهو يقول : « **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ** » (١) .

وكان ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ شديدَ الشفقةِ علىٰ الخلق ، عظيمَ الرحمةِ بأمته ـ حتىٰ الذين لم يستجيبوا لدعوته ـ قويَّ الرغبة في هدايتهم ، وكان يبلُغُ في نصحهم الحد الذي لا مزيد عليه ، أليس هو ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ القائل : « **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا ، فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَالْجَنَادِبُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ** (٢) **عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تُفْلِتُونَ مِنْ يَدِي** » (٣) .

وفي لفظ متفق عليه : « **وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ ، وَيَغْلِبْنَهُ ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا ، فَذَلِكَ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ : أَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ**

(١) رواه البخاري .

(٢) **الحُجَز** : جمع حُجْزَة : معقد الإزار ، ومن السراويل : موضع التكة .

(٣) رواه أحمد .

عَنِ النَّارِ : هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، فَتَغْلِبُونِي فَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا » .

بل كان يبلغ حزنه وحسرته علىٰ عدم هدايتهم حدًّا يوشك أن يُذْهِبَ معه نفسه الشريفة ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، وما أكثر ما نزل الوحي يخفف عنه ، ويعزيه ، وينهاه عن هذا الأسىٰ ، ويأمره بالرفق بنفسه ، كقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦] .

قال الزمخشري : « شَبَّهه وإياهم ـ حين تولَّوْا عنه ، ولم يؤمنوا به ، وما داخَلَه من الوجد والأسف علىٰ تولِّيهم ـ برجلٍ فارقته أحِبَّتُهُ وأعزته ، فهو يتساقط حسراتٍ علىٰ آثارهم ، ويبخع ـ أي : يهلك ـ نفسه ؛ وَجْدًا عليهم ، وتلهفًا علىٰ فراقهم » اهـ .

ومثل ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر : ٨] .

وقوله ـ جَلَّ وَعَلَا ـ : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٣]

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٨]

وإن هذه الأمة نائبة عن رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في تبليغ شرعه ، وإقامة الحجة علىٰ أهل الأرض قاطبة ، فهم « شهداء الله في الأرض » كما وصفهم رسول الله ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ، بل كما قال الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ في كتابه المجيد مبينًا وظيفتهم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

فوظيفتها هي وظيفة الأنبياء : الشهادة علىٰ الناس ، ويؤكد ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

وعلىٰ رأس المعروف الذي تأمر به : الإيمان بالله ، والدعوة إلىٰ دينه ، والجهاد في سبيله ؛ لتبلغ كلمة الله إلىٰ سائر البشر ، وإلا فبماذا تشهد يوم القيامة إذا دعيت للشهادة التي حُمِّلتها في هذه الدنيا ؟ [١] .

وقد شهد التاريخ فصولًا مشرقة قامت فيها هذه الأمة بنشر نور الإسلام في آفاق الأرض ، وتجلىٰ فيها عُمْقُ فقههم لهذه الوظيفة الشريفة .

وتأمل موقف رِبْعِيِّ بنِ عامرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ حينما أرسله سعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ رسولًا إلىٰ رُسْتُم قائد الفرس ـ قبل موقعة القادسية ـ ، فسأله الأخير : « ما جاء بكم ؟ » ؛ فأجابه ربعي : « الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ؛ لنُخْرِجَ مَنْ شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سَعَتها ، ومن جَوْرِ الأديان إلىٰ عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلىٰ خلقه ؛ لندعوَهم إليه » .

(١) انظر : « محاسن التأويل » للقاسمي (٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

وتجلىٰ إدراكهم لهذه الوظيفة فيما قام به الصحابة الأخيار ، والتابعون الأبرار ، والمجاهدون الشجعان ، حتىٰ التجارُ الرُّحَّل الذين جابوا أقطار الأرض يحملون هذا النور العظيم ، ويُخرجونَ به الناس من الظلمات إلىٰ النور .

ولئن تنادىٰ كثير من الأمم اليوم بما اصطلحوا علىٰ تسميته : « حقوقَ الإنسان » ، فإن واجبَ المسلمين اليومَ أن يلفتوا نظر الجميع إلىٰ أن أعظم حق من حقوق هذا الإنسان وأخطره علىٰ الإطلاق ، هو : حقه في أن تبلغه دعوة الإسلام صافية نقية بلا تشويه ، ولا تعمية ، ولا تضليل ، فإنْ قَبِلَها ؛ نال سعادة الدنيا وسعادة الأبد ، وإلا فقد قامت عليه حجة الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ القائل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وإن كل من يصد عن دين الله بتشويه أو إرهاب لهو عَدُو هذه الإنسانية الهائمة علىٰ وجهها ، والتي تبحث عن « المنقذ الحقيقي » بعد أن أعلنت جميع النظم البشرية والعقائد الزائفة إفلاسها .

ومع تفريط المسلمين اليوم في أداء الحق الأعظم والواجب المحتم تجاه البشرية البائسة التي تتوق إلىٰ هداية الإسلام ؛ إلا أن هناك ظاهرة عجيبة يشهدها العالم أجمع ، ألا وهي : أن الإسلام يغزو قلوب الملايين في أرجاء المعمورة ، بالرغم من أن الجهود المبذولة في الدعوة إليه ـ حتىٰ الآن ـ جهود فردية ، تفتقد ذلك التخطيط ، والتنسيق ، والتمويل ، والمنهجية التي تحظىٰ بها ـ مثلًا ـ الكنسية النصرانية وبخاصة الكاثوليكية ، وما يتبعها من منظمات كهنوتية كالفرنشسكية ، والدومينيكية ، والجِزويت ، وكذلك ما تنظمه الهيئات البروتستانتية من حملات تنصير ، تُعِدُّ رجالها في معاهدَ متخصصةٍ ، وتنفق عليها المال الوفير ، ثم تبثهم في الآفاق البعيدة للدعوة إلىٰ دينها المحرف بأساليب مدروسة ، وقد يبلغ الأمر ببعض دعاتهم أن يُطَلِّق الدنيا ؛ لِيَخْلُصَ للدعوة إلىٰ النار خلوصًا تامًّا كما نعرفه في جماعات الرهبان النصرانية والبوذية ،

ومع هذا كله ؛ تذهب جهودهم هباء ، وتكون أموالهم عليهم حسرة ، ثم لا يجنون سوىٰ الخيبة والخسران في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأخزىٰ .

أجل ... ينتشر الإسلام مع هذا التفريط من جانب أتباعه ، ومع هذا الكيد من جانب أعدائه ، فما سر هذه الظاهرة المباركة ؟

إنه الإسلام نفسه ، دينُ الفطرة ، ، دين التوحيد ، دين الاستقامة ، دين الطهارة ، دين النظافة في العقيدة ، والنظافة في الأخلاق ، والنظافة في العبادات والشرائع .

ألا إن داعية الإسلام الأكبر هو الإسلام نفسه ؛ بما تضمنه من فضائل ، وإن قوة الإسلام الذاتية ـ التي أودعها الله فيه ـ هي التي تقهر المناوئين له مهما عظمت تنظيماتهم ، وكثرت أموالهم ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

ألا ما أحوجنا اليوم إلىٰ تنمية هذه الظاهرة المباركة ، والتفتيش وراء الأسباب التي تقويها وتدعمها ، ومواجهة المعوقات التي تقف في طريقها !

وما أحوجنا إلىٰ متابعة التوجيه ، والتعليم ، والنصح لمن يعودون إلىٰ دين الفطرة ، واستمرار دعوة من لم يعودوا بعد !

ما أحوجنا إلىٰ تبليغ حقائق هذا الدين التي غابت أو شُوِّهَتْ في نظر بعض المسلمين فضلًا عن غيرهم !!

وما أحوجنا إلىٰ دفع شبهات خصوم هذا الدين التي يصدون بها الناس عن دين الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ .

لا شك أنها « أمانة خطيرة » ، ومسئولية جسيمة ، تتقاصر دونها الطاقات ، كيف وهي وظيفة الرسل ؟ كيف وهي وظيفة « أمة » بأجهزتها ، ورجالها ، وإمكاناتها ... ؟

ولكننا نضع هذه الأمانة في عنق كل من يقدر علىٰ المساهمة بأي جهد في سبيل النهضة بهذه الرسالة المقدسة ، و« ما لا يدرك كله ؛ لا يترك كله » .

وهناك حقيقة لا مراء فيها ، أجمع عليها المسلمون ، واتفق عليها المنصفون ، واعترف بها كثيرٌ من غير المسلمين هي : أن « المستقبل للإسلام » .

وإن كل مساهمة ـ مهما دَقَّتْ ـ في دفع عجلة الدعوة إلىٰ الله هي بمثابة خطوة إلىٰ الأمام نحو تحقيق الأمل المنشود ، يوم يدخل الناس في دين الله أفواجًا ، يوم يبلغ هذا الدينُ ما بلغ الليلُ والنهارُ ، يومَ لا يبقىٰ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ـ (أي : أهل الحضر وأهل البادية) ـ إلا أدخله الله هذا الدين بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليل ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلام ، وذُلًّا يُذلُّ الله به الكفر ،

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[الروم : ٤ ، ٦]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❊ ❊ ❊